. @ 361 @

وقوله (شيباً) تمييز محول عن الفاعل في أظهر الأعاريب . خلافاً لمن زعم أنه ما ناب عن المطلق من قوله (واشتعل) لأنه اشتعل بمعنى شاب ، فيكون (شيباً) مصدراً منه في المعنى ومن زعم أيضاً أنه مصدر منكر في موضع الحال . .

وهذا الذي ذكره ا هنا عن زكريا في دعائه من إظهار الضعف والكبر جاء في مواضع أخر . كقوله هنا : { وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً } ، وقوله في (آل عمران) : { وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ } . وهذا الذي ذكره هنا من إظهار الضعف يدل على أنه ينبغي للداعي اظهار الضعف والخشية والخشوع في دعائه . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً } أي لم أكن بدعائي إياك شقيا ، أي لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك ، يعني أنك عودتني الإجابة فيما مضى . والعرب تقول : شقى بذلك إذا تعب فيه ولم يحصل مقصوده . وربما أطلقت الشقاء على التعب ، كقوله تعالى : { إِنَّ هَاذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } وأكثر ما يستعمل في ضد السعادة . ولا شك أن إجابة الدعاء من السعادة ، فيكون عدم إجابته من الشقاء . .

قوله تعالى عن زكريا : { وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَآئِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً } . .

معنى قوله : { خِفْتُ الْمَوَالِيَ } أي خفت أقاربي وبني عمي وعصبتي : أن يضيعوا الدين بعدي ، ولا يقوموا بدينه حق القيام ، فأرزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حق القيام . وبهذا التفسير تعلم أن معنى قومه (يرثني) أنه إرث وعلم ونبوة ، ودعوة إلى ا والقيام بدينه ، لا إرث مال . ويدل لذلك أمران : .

أحدهما قوله { وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ } ومعلوم أن آل يعقوب انقرضوا من زمان ، فلا يورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين . .

والأمر الثاني ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء صلوات ا وسلامه عليهم لا يورث عنهم المال ، وإنما يورث عنهم العلم والدين . فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكر الصديق رضي ا عنه ، عنه صلى ا عليه وسلم أنه قال : (لا نورث ، ما تركنا صدقه) . ومن ذلك أيضاً ما رواه الشيخان أيضاً عن عمر رضي ا عنه أنه قال لعثمان ، وعبد الرحمن

بن عوف ، والزبير وسعد ، وعلي ، والعباس ، رضي الله عنهم : أنشدكم الله